

الرحالة والسياحة في السودان (دراسة تحليلية)

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

د. إخلاص مكاي محمد علي

مستخلص:

لقد تمتع السودان بمساحات شاسعة متفرقة في كل اتجاهاته ، ووفقاً لهذه المساحة تنوعت البيئات والمكونات فيها وتميز كذلك بالتنوع الثقافي والعرقى مما وفر تراثاً حضارياً وثقافياً جاذباً للإنسان من داخل البلاد وخارجها . ساعد موقع السودان الوسط مما جعله معبراً للشعوب والثقافات وسهل عملية التبادل الثقافي مما كان إضافة للتنوع الأصلي فيه. ولقد إرتاد السودان الرحالة والمؤرخون والمكتشفون . وتحاول هذه الورقة الوقوف علي مجهودات كل أولئك الذين كتبوا ودونوا ملاحظاتهم التي كانت دافعاً سياحياً للناظرين ومحفزاً للمزيد من الاستكشافات والبحوث. اعتمدت الورقة علي عدد من الأوراق العلمية التي كتبت في مجال الآثار والسياحة والتاريخ متناولة كتب الرحالة والمكتشفين . دونها حسن حسين إدريس : أهم مدن وطرق القوافل في السودان. علي عثمان محمد صالح: رحلة إلباء شلبي لمنطقة المحس، قيصر موسي الزين: المدن السودانية في كتابات الرحالة المسلمين العرب، أحمد عوض خضر: أضواء علي رحلة إبن سليم الأسواني لبلاد النوبة، علي صالح كرار: السودان من خلال كتاب (صور الأرض لإبن حوقل) ، إنتصار الزين صغيرون: نهر النيل في كتابات العرب والمسلمين. إخلاص مكاي : قوافل الحج الإفريقية التقليدية عبر السودان. ومن الكتب إدوارد روبيل: رحلات في شمال السودان وكردفان وشبه جزيرة سيناء وساحل الحجاز. عبده عثمان: الزخارف المعمارية في مباني سواكن القديمة. رسالة دكتوراة من جامعة الخرطوم 2003م ، تناولت الورقة عناوين تمثلت في:- دوافع السفر والرحلات، نهر النيل بعيون الرحالة، السودان وجهة سياحية، سياحة الآثار، مؤلفات الرحالة وأهميتها عن السودان وأهميته.

Backpackers and tourism in Sudan (An analytical study)

Ikhlas Makkawi Mohamed Ali

Sudan has enjoyed vast areas dispersed in all its directions, and according to this area the environments and components varied and it was also distinguished by cultural and ethnic diversity, which provided a civilized and cultural heritage attractive to people from inside and outside the country. Sudan's location helped the center, which made it a crossing point for peoples and cultures and facilitated the process of cultural exchange, which was an addition to its original diversity. Travelers, historians and explorers frequented Sudan. This paper attempts to stand on the efforts of all those who wrote and took their notes, which was a tourism motive for the viewers and a catalyst for further explorations and research. Written by Hassan Hussein Idris: The Most Important Cities and Caravan Routes in Sudan. Ali Othman Muhammad Salih: The Journey of Alia Shalabi to the Al-Mahas Region, Caesar Musa Al-Zein: Sudanese Cities in the Writings of Arab Muslim Travelers, Ahmed Awad Khader: Lights on the Journey of Ibn Salim Al-Aswani to Nubia, Ali Salih Karrar: Sudan through the book (Sour al-Ard by Ibn Hawqal), Intisar al-Zain Saghiroon: The Nile River in the Writings of Arabs and Muslims. Ikhlas Makawb: Traditional African Pilgrimage Caravans through Sudan. Among the books is Edward Rubel: Travels in Northern Sudan, Kordofan, the Sinai Peninsula and the Hijaz coast. Abdo Othman: Architectural Decorations in the Old Suakin Buildings. PhD thesis from the University of Khartoum 2003. The paper dealt with titles represented in: - Motives for travel and trips, the Nile River through the eyes of travelers, Sudan as a tourist destination, antiquities tourism, the books of travelers and their importance about Sudan and its importance.

دوافع السفر والرحلات:

لقد عرف عن العرب حبهم للأسفار والترحل ، لعل ذلك يرجع إلي البيئة في الجزيرة العربية فحياة البداوة لها تأثير ودور في حياتهم . وقد شجع الخلفاء والأمراء لبعض الشخصيات علي إرتياد الأسفار . وبالنسبة للعلماء ورجال الدين فالسفر سبب من أسباب العيش وكذلك الوصول للعلماء والشيخوخ لأخذ منهم والإستفادة من علمهم ، وأيضاً كانت هناك رحلات سياسية بعد أن انتشر الإسلام وأصبحت الدولة الإسلامية واسعة المساحة وتطلب ذلك معرفة تلك المناطق الجديدة وأصبح من السهل علي أي مسلم أن يسافر في المناطق التي إنتشر فيها الإسلام.⁽¹⁾ من جهة أخرى كانت التجارة أحد هذه الدوافع والأسباب فالفتوحات الإسلامية أدت إلي إزدهار حركة التجارة والإقتصاد ، وأيضاً كانت السياحة وحب البحث والإطلاع والتنزه في البلاد

دافعاً لحركة السفر والسياحة ، وكان الحج دافعاً ربما لكل الشعوب المسلمة فهذه شعوب غربي أفريقيا يقطعون المسافات مشياً علي الأقدام أو في شكل قوافل طلبا للحج وكذلك العلم . واشتهرت قوافل الحج الأفريقية بذلك .

أما الأوربيون فالسفر والترحال كان معظمه بسبب الإستكشاف اذ كانت الكشوف الجغرافية من دوافع السفر لديهم ، كما كان حب التوسع أدي إلي تكليف الحكام بعض الرحالة بارتياح البلاد التي كانوا يطمعون في استعمارها والإستفادة من مواردها فمحمد علي باشا يصطحب معه الرحالة والمؤرخين في جيشه الذي دخل السودان غازياً.

لقد كانت معرفة منابع النيل أحد الألغاز المحيرة والتي شغلت المهتمين بالكشوف وكان هيرودوت أول من كتب عن حوض النيل، وسعي الحكام لإرسال البعثات لإكتشاف منابع النيل ، ولعل منابع النيل كان أحد أسباب ودوافع الرحلات والسياحة . ونسوق بعض الأمثلة لتلك الدوافع متمثلة في بعض الرحالة والمؤرخين فابن حوقل صاحب كتاب (صورة الأرض) وقد كان تاجراً شغوفاً بالإطلاع علي ما كتب عن الرحلات وطاف لمدة ثلاثين عاماً بين أرجاء العالم الإسلامي ولخص رحلاته في كتاب (صورة الأرض) والذي أصبح من المراجع المهمة في أدب الرحلات والسياحة . وقد حقق أحد أسباب الرحلات وهو التجارة والسياحة بغرض معرفة البلدات والأقاليم. وذكر ابن حوقل أن ما دفعه للكتابة أنه كان في عنفوان الشباب وكان له شغف بالقراءة . وبذلك يكون ابن حوقل قد حقق عدداً من أسباب الرحلات متمثلة في التجارة وكسب العيش وطلب العلم وحب الإستكشاف.

أما بالنسبة لأبن سليم الأسواني فقد أرسل داعياً للفاطميين من قبل جوهر الصقلي إلي بلاد النوبة لدعوة الملك قيرقي للإسلام وهو بذلك يحقق سبب للرحلات السياسية وهو مؤرخ وفي نفس الوقت حقق السبب الديني ولأنه مؤرخ أضاف إلي ذلك كسب المزيد من العلم والمعرفة. ان كثير من الرحالة والمؤرخين إرتادوا الرحلات ومشقة السفر من أجل الإستكشاف ، وكان البحث عن منابع النيل أحد هذه الأهداف وقد أرسلت البعثات الإستكشافية منذ رحلة هيرودتس ثم بطليموس السكندري ثم جيمس بروس، وتوالت بعثات الإستكشاف. ومن الرحالة والمؤرخين العرب، الإدريسي ثم اليعقوبي والمسعودي والإصطخري وابن حوقل، وابن سليم الأسواني وقد وصفوا النيل وما حوله من الأرض في عدة مناطق.

جاء الرحالة الأوربيون⁽²⁾ بحثاً عن منابع النيل ومعادن السودان فجيمس بروس قام برحلة وهو في طريقه من الحبشة ماراً بالسودان فكتب عن سلطنة سنار ووصف كل ما مر به ، وكذلك الرحالة جون لويس بوركهارت كتب عن الصحراء النوبية عام 1882م أورد عدداً من المدن التي مر عليها ، وحكي عن قوافل الحج التي تأتي من غربي أفريقيا شاقة الطرق متجهة نحو أرض الحجاز عن طريق السودان . أما كايو وديفد رويني اليهودي الذي وصل سنار عن طريق سواكن عام 1522م . وكذلك الطبيب الفرنسي شارلس جاكويوس بونسيه ساح في بلاد النوبة عبر

صحراء بيوضة إلى سنارثم الحبشة وفي عام 1698م حضر القس الكاثوليكي ثيودور كرمب الذي أنهى رحلته إلى النوبة وسنار. وهكذا كان السودان محط أنظار الرحالة عرب مسلمون وإربيون ومؤرخون ومغامرون كل له دوافع.

نهر النيل بعيون الرحالة:

في تجوال الرحالة والمكتشفين والمؤرخين كان نهر النيل ملفت لأنظارهم، فارتادوه سائحين ومستكشفين منهم العرب ومنهم الأوروبيين.

تحدث ابن حوقل⁽³⁾ عن النيل في كتابه (صورة الأرض) عن السواقي المتصلة بالنيل قائلاً: (.....) ومن أعمار بلادهم علوة حتي ان السائر ليجتاز في المرحلة الواحدة بقري عدة غير منقطعة الحدود ذوات مياه بسواقي من النيل) وأشار إلي خور بركة الذي يأتي من بلاد الحبشة ويصب بين سواكن وباضع في البحر المالح.

أما ابن سليم الأسواني⁽⁴⁾ فتحدث عن ملتقي النيلين فقال أن النيل الأزرق يلتقي بالنيل الأبيض الذي يأتي من جهة الغرب وهو شديد البياض وشبهه ببياض اللبن، ثم النيل الأزرق وسماه النيل الأخضر يأتي من الشرق شديد الخضرة صافي اللون يري ما فيه من السمك وطعمه مخالف لطعم النيل ويعطش الشارب منه بسرعة ، وحيثان الجميع واحدة غير أن الطعم مختلف . ثم في فترة الفيضان يجرف النيل معه خشب الساج والبقم وخشب له رائحة كرائحة اللبان .. وقيل أنه وجد فيه عود البخور . ويجتمع هذان النهران الأبيض والأخضر عند مدينة متملك بلد علوة ويبقيان علي ألوانهما قريباً من مرحلة ، ثم يخلطتان بعد ذلك ، بينهما أمواج كبار عظيمة بتلاطمها.

ذكر أيضاً أن النيل يضيّق في بعض المناطق وتكثر فيه الجنادل تعترضه في غير موضع منه حتي يكون انصبابه من بابين أو ثلاثة أبواب ، وقلعة أصفون أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن بها جبل معترضاً من الشرق إلي الغرب. ووصف الجنادل بأنها كثيرة لا تسير فيها المراكب إلا بالحيلة ووصف انحدار الماء من الشلالات بأن له خريز عظيم يسمع صوته من مسافات بعيدة و أشار إلي السنباذ الذي يخرط به الجوهر بأنه يخرج من النيل .

أما ابن خلدون⁽⁵⁾ فذكر أن علي النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض البلاد لم يحددها . وذكر أن حاضرة بلاد النوبة أي عاصمتها هي دنقلا غربي النيل وبعدها علوة وبلاق، وذكر أن النيل يصب في مهوي بعيداً صباً مجهولاً ، ووصف الجنادل وصعوبة المسير . وتوجد الواحات في عدوة النيل وهي خراب ، وبها آثار والعمارة القديمة. ومن الرحالة الأوروبيين كتب إدوارد روبيل⁽⁶⁾ ملاحظاته عن المناخ في محافظة دنقلا، وذكر أن النيل يبدأ من محافظة دنقلا بالارتفاع في منتصف مايو ويبدأ منبع النيل من دار المحس وبعض مساحتها خصبة جداً ويتعرج من هذه المنطقة تعرجات كبيرة خاصة بين كوشة وفقير بندر، ويشكل عدد من هذه المنطقة تعرجات كبيرة خاصة بين كوشة وفقير بندر ، ويشكل عدد من الجزر الكبيرة . ومجري النيل في هذا الإقليم ضيق مع

التعرج ولذلك يرتفع منسوب المياه بشكل كبير خلال الفيضان ، ومساحات الحقول التي تغمرها الفيضانات أعلى نسبياً . تعتبر دار دنقلا سهلاً طويلاً خصباً ، ويمر النيل هنا بجزر وارفة الخصوبة. وصف روبيل المناطق الأثرية في دنقلا وذكر أنها أربعة مواقع أثرية قديمة وهي في تمبس وارقو، في قلعة الخندق وفي دنقلا العجوز وتوجد أماكن سكنية مدمرة مشيراً إلى مستوطنات مهجورة كلياً أو جزئياً ، الخندق ودنقلا العجوز والدبة والدفار . وذكر أن النيل صالح للملاحة في جميع أنحاء إقليم دنقلا علي مر السنة.

كذلك وصف روبيل صيادي السمك⁽⁷⁾ وفرس البحر والتماسيح وتحدث عن طرق وأساليب الصيادين لكل نوع من أنواع صيد النيل والأسماك وفرس البحر والتمساح وصف التقاليد الخاصة بهذه الأنواع. هكذا وجد نهر النيل إهتمام أولئك الرحالة والمؤرخين وذلك لأنه يذخر بكل معاني الحياة والأنشطة التي تتنوع بتنوع الأماكن والسكان والبيئة.

السودان وجهة سياحية:

لقد كان السودان محط أنظار كثير من الرحالة والمؤرخين العرب والأوروبيين الذين ساحوا في أرضه وسجلوا ملاحظاتهم ومعلوماتهم واكتشافاتهم الأثرية ، وكانت الرحلات تهدف للإستكشاف وزيادة المعارف والدعوة الدينية . وقد هاجر شيوخ من غربي أفريقيا طلباً للحج والعلم. أن التنوع الموجود في السودان يعتبر جاذباً للسياحة والترحل من جانب الرحالة والمؤرخين. شمل التنوع في البيئة الصحراء والنيل والجبال والأنهار المتفرعة من نهر النيل العظيم ، ويشمل التنوع القبلي فكل قبيلة عاداتها وتقاليدها وأطعمتها وملابسها وزينتها التي تلفت أنظار الغرباء، والموارد الجاذبة للسياحة . والموارد الجاذبة تتمثل في اتساع أرض البلاد وتراثها الشعبي والثقافي . ويعتبر موقع السودان الجغرافي مصدراً للتنوع بأنواعه إذ اختلطت فيه العناصر المهاجرة والعابرة وتداخلت القبائل وبذلك تنوعت الثقافات.

لقد تناول أولئك الرحالة والمؤرخين كل مناحي الحياة في المناطق التي حطوا رحالهم فيها أو مروا بها ، فوصفوا الشعوب والقبائل في طريقهم ووصفوا الطبيعة بطيورها وغزلانها وحيواناتها ، ومعيشة السكان ومنتجات الزراعة والأشجار الطبيعية ، ونهر النيل والصيد فيه ووثقوا لهجرات العرب والمسلمين للسودان عن طريق البحر الأحمر والشرق ودرب الأربعة من مصر وطريق المغرب العربي من الشمال الغربي. كما وصفوا المدن ولغة الأهالي والأديان ، والنشاط التجاري كما وصفوا الحيوانات البرية وكذلك أرض المعدن وأنواعه والتكالب عليه . وذكروا خصوبة الأرض وطبيعتها التي شجعت المهاجرين علي الإستقرار

وصف الشعوب والقبائل :

ذكر اليعقوبي⁽⁸⁾ عن البجة أنهم نزلوا بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقاً وملكوا عليهم ملوك وفي أرضهم معدن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد وكانت النوبة قبل ذلك أشد من

البجا إلى أن قوي الإسلام وظهر وسكن جماعة المسلمين معادن الذهب وبلاد العلاقي والعيذاب . ووصف الإصطخري البجة : قوم أصحاب أخبية شعر , وهم أشد سواداً من الحبشة لا قري لهم ولا مدن ولا زرع إلا ما ينقل إليهم من الحبشة واليمن ومصر .

لقد وصف الرحالة العرب والمسلمين البجا بالبداوة والهمجية⁽⁹⁾ لا يعرفون ديناً ولا نظاماً للملك ينظم أمورهم. وقال ابن سليم الأسواني في نهاية القرن الرابع الهجري عنهم أنهم بادية يتبعون الكلاً حينما كان للرعي لهم أخبية من جلود ، وأنسابهم من ناحية النساء وليس عليهم ثملك ولا لهم دين وهم يورثون ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصلب أما مدن السودان : فقد حظيت بالوصف من عدة رحالة أذ كانوا يمرون بها وكانت عيذاب موضع أهمية فهي إقليم حلايب موضع النزاع الحالي بين السودان ومصر. كانت ميناء في إتجاه جدة علي البحر الأحمر ترتادها السفن من الحبشة وزنجبار واليمن . كان ذلك في القرن العاشر الميلادي ولكن في القرن الخامس عشر يذكر ابن الوردي أنها مدينة حسنة تجمع التجار برا وبحرا، أهلها يتعاملون بالدرهم ولا يعرفون الوزن. بها وإل من قبل البجة ووال من قبل سلطان مصر يقسمان الجباية. تحدث ابن جبير عن عيذاب وهي علي ساحل بحر جدة غير مسورة ، ولكن بيوتها من الأخصاص (ربما الخوص) وفيها الآن بناء بالجيص وهي من أحفل مراسي الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط بها وتقلع منها زائداً إلى مراكب الحجاج الصادرة والواردة.

أوضح ابن جبير أن ثروة عيذاب الهائلة تعود إلى المكوس وتجارة بيع الطعام وغيره للحجاج ، واستخراج اللؤلؤ وليس الزراعة أو تربية الحيوانات بسبب طبيعتها الجافة ، وأكد أن عيذاب ليست مصرية⁽¹⁰⁾ وإنما هي بحكم نوع سكانها الأصليين سودانية بالبجة وأهلها الساكنون بها من قبيل السودان الذين يعرفون بالبجا ، ولهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة بها. ثم جاء ابن بطوطة بعد قرن ونصف من ابن جبير يتحدث عن إزدهار عيذاب وللبجا سطوة عليها (مدينة كبيرة كثيرة الحوت واللبن وتحمل إليها الزرع والتمر من صعيد مصر وأهلها البجات.... ولما وصلت عيذاب وجدت الحدري سلطان البجا يحارب الأتراك وقد خرق المراكب وهرب الترك أمامه.

سواكن(11):

من المدن والمواني السودانية المهمة لها دور بجانب عيذاب وباضع ومصوع علي ساحل البحر الأحمر الشرقي مثل ميناء جدة والحديدة، وتعتبر مدخل أفريقيا للعالم العربي والإسلامي وقد كانت جسراً للتواصل مع حضارات مختلفة كالهند والصين وأفريقيا ، وساهمت في تطوير وشهرة مدن القوافل السودانية المارة بها القوافل القارية مثل بربر ووادي حلفا والفاشر وسنار ، وتفردت بإعمار ذو طابع عربي إسلامي ، كالمشربيات والشرفات الخشبية مما جعلها مدينة تجارية وسياحية . تحدث عن عمارتها وزخارفها . الجدير بالذكر أن الإهتمام بسواكن بعد إنهارها حديثاً بدأ عام 1968م من مصلحة الآثار في ذلك الوقت بمشروع ترميم ، واستمرت مصلحة الآثار مباشرة

مسئوليتها تجاه سواكن كموقع أثري بتركيز علي المباني والتي تأثرت بالثقافة العربية الإسلامية. أما ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي قال عن سواكن (لا ماء بها ولا زرع ولا شجر ، الماء يجلب إليها في القوارب وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر ، هي جزيرة كبيرة وبها يحوم النعام والغزلان وحمر الوحش ، والماعز عندهم كثير الألبان والسمن ومنها يجلب إلي مكة ، وحبوبهم الجرجوري وهي نوع من الذرة كبير الحجم يجلب أيضا من مكة. ويبدو أن هناك منافع وخيرات تنقل من سواكن إلي جدة مما يدل علي علاقات تجارية ومنافع كثيرة متبادلة . وقال عنها ياقون الحموي .. سواكن بلد مشهور علي ساحل بحر الجار قرب عيذاب ترفأ إليها سفن من جدة وأهلها سود نصارى .

حظيت دنقلا⁽¹²⁾ بوصف ابن سليم الأسواني قال: بها أبنية عظيمة وكنائس وبساتين ومزارع ، وتسقف الأبنية بالخشب السنط. ووصف أنواع الزرع والشجر والحيوانات خاصة السباع والضباع ، وذكر المعادن ومركز تجارة المعدن .

أما الإدريسي⁽¹³⁾ في القرن الثاني عشر الميلادي قال عن دنقلا (مدينة دنقلا في غربي النيل وعلي ضفته منه يشرب أهلها ، وأهلها سودان لكنهم أحسن وجوها وأجملهم شكلاً ، وطعامهم الشعير والذرة والتمر يجلب إليهم من البلاد المجاورة لهم، واللحوم التي يستعملونها كلحوم الإبل الطرية ومقددة ومطحونة ويطبخونها بالبان النوق ، وأما السمك فكثير جداً ، وفي بلادهم الزراف والفيلة والغزلان) .

كذلك وصف دنقلا إن فضل الله العمري في القرن الرابع عشر الميلادي (ان دنقلا ممتدة علي النيل وأهلها في شظف العيس علي أنهم أصلح كثيراً ممن سواهم من السودان، وبها مسجد تأوي إليه الغرباء ، وأكثر عطاياهم ألبسة غلاظ غالباً سوداء، ووصف طعامهم من الذرة واللحوم واللبن والسمك عندهم كثير ، والحبوب قليلة إلا الذرة وأفخم أطبخهم ما يعمل باللوبيا من مرق اللحم ويثرد ويصب باللحم واللوبيا علي وجه الثريد ، وتعمل اللوبيا بورقها وعرقها، ولهم ميل شديد إلي الطرب).

سوبا⁽¹⁴⁾:

عاصمة مملكة علوة ذكرها اليعقوبي في تاريخه (.. والمملكة الثانية من النوبة الذين يقال لهم علوة ، أعظم خطراً من مقرة ومدينة مملكتهم يقال لها سوبة . وقال ابن حوقل: في القرن العاشر الميلادي (النوبة نصاري أيضاً وبلدهم أوسع من الحبشة في نواحيه وعمارتهم أكثر من الحبشة، ويخترق نيل مصر فيما بين مدنها ونواحيهم ' وقراهم عامرة خصبة كثيرة التمر والزرع والخضر ، ومن أعمر بلادهم نواحي علوة وهي ناحية لها قري متصلة عمارات مشتبكة حتي أن السائر ليجتاز في المرحلة الواحدة بقري عدة غير متقطعة الحدود ذوات مياه متصلة برواق من النيل) .

لعل علوة⁽¹⁵⁾ كانت أيضاً محط الأنظار في طريق الرحالة الذين مروا بها ، وذكر ابن سليم الأسواني أن علوة المسيحية تبدأ بقري تقع في الشرق علي شاطئ النيل تعرف بالأواب وفيها

وال من صاحب علوة يعرف بالوحواح . ويذكر أن النيل يتشعب في هذه المنطقة (نهر عطبرة) وتقع سوبا عاصمة مملكة علوة شرق النيل ومنازلها ودورها حسنة واسعة بها بساتين وكنائس . وهناك مجموعة من المسلمين تعيش في مملكة علوة. وصاحب علوة ماله أكثر من صاحب المقرة وجيشه أعظم، ولديه عدد من الخيول أكثر من خيل المغرة وبلاده أخصب وأوسع والنخل والكرم يسير وعندهم الذرة البضاء التي مثل الأرز يصنعون منها الخبز وتوجد لديهم مواشي ولحوم كثيرة وبها مروج واسعة وعندهم خيل عناق وجمال صهب عراب، وهم من طائفة اليعاقبة المسيحية وأساقف كنيستهم من الإسكندرية وهم في ذلك مثل دولة المقرة ولهم كتب اللغة الرومية ويترجمونها إلى النوبية ، ملكهم يتوج بتاج كبير من الذهب).

لقد قارن ابن سليم الأسواني بين مملكة علوة والمقرة ورجح كفة علوة عن المقرة في الثراء ورقد المعيشة والثروة الطبيعية. كما يبدو التفوق في القوة العسكرية وأشار إلى الدين والكنيسة وترجمة الكتب وهذا مظهر ثقافي وعلمي.

سياحة الآثار وأهمية الكتابات:

لقد تناول الرحالة والمؤرخون وصف بلاد النوبة وشمال السودان وذكروا ما صادفوه في المدن من آثار تمثلت في الأهرامات والمعابد والقصور واتصالها بالإمبراطوريات المصرية والرومانية والإغريقية عن طريق القوافل مما ساعد في انتعاش حصاره مروي وتجارها التي اشتهرت بصناعة الحديد وكانت مدخل أفريقيا للحديد والتي قال عنها عالم الآثار شيني أنها بيرمنجهام أفريقيا. وكتب بوكهارت ملاحظاته عن المدن والأماكن المهمة وعن آثار مروي وكذلك فردريك كايو(16) كتب أيضاً عن آثار مروي وكان مهتما بالآثار وصاحب محمد علي باشا في حملته علي السودان كتب ملاحظاته عن المناطق الأثرية في كرمة والبركل ونوري والكرو .

لقد نشأت مدن في القرن التاسع في الكرو وهي مقابر أوائل ملوك نبتة ونوري والبركل. ومملكة نبتة حكم عدد من حكامها مصر وتعرف بفترة الأسرة الخامسة والعشرين . ثم شهد القرن الرابع الميلادي مدن كالنقعة وود بانقا، والمصورات الصفراء المدينة الملكية عاصمة المملكة بالبحراوية آثار ذكرها المؤرخون وعلماء الآثار تمثلت في الأهرامات.

لقد ساعدت طرق القوافل في إزدهار وربط المدن والأماكن وسهلت التواصل(17). ومن الطرق التي ساعدت في إزدهار مدينة الفاشر الطريق الذي تسير عليه القوافل من طرابلس ليبيا ومدينة الكفرة ومدن الواحات ماراً بمنطقة العوينات والتي تعتبر منطقة أثرية تاريخية وسياحية مهمة تربط السودان وليبيا ومصر، تلك الأهمية التي جعلتها منطقة نزاع خاصة مع مصر.

أما الرحالة روبيل فقد وصف الآثار الموجودة في شمال السودان(18) مثل سمنا علي

الصفة الغربية من نهر النيل وهي موقع عسكري وحصن ومعبد صغير من الحجر الرملي ومسقوف بشكل دعامة للقاعة الرئيسية في المعبد القديم. ووصف النقش الطولي الهرولوجي علي أحد الأعمدة. كما وصف تمثال في إحدى القاعات لكاهن جالس مصنوع من صخر السينانيت يده معقودتان علي صدره، وهناك لوح بجانب المعبد من الجرانيت عليه كتابة هيرولوجية ووصف سراديب الموتي المحتوي علي جدار صخري منحدر كأنه لم يكتمل. وفي قرية عمارة في إقليم السكوت علي الضفة الشرقية للنيل توجد أكوام من الركام والأنقاض الحجرية ومعبد به ثمانية أعمدة في صف مزدوج لتدعم السقف. الجدران الجانبية للمعبد من الطوب غير المحروق والأعمدة بلا تيجان وتوجد تماثيل للنساء الرؤوس مغطاة بتيجان من زهور اللوتس، وتحمل كل واحدة جرتين تتدفق منهما المياه.

هذه لوحة رائعة شبه ناطقة تحفز علي زيارة تلك المناطق وقد وصف (19) هذا الرحالة الآثار في هذه المنطقة وصفاً دقيقاً، وصف بقايا المعابد ثم التلة الحجرية شمال قرية أوسي فوصف الغرفة المنحوتة وعلي خلفيتها كوة نحت فيه ثلاثة تماثيل جالسة بكتابة هيرولوجية تزين الغرفة، وتفاصيل أبو الهول الأسد من الجرانيت وذكر القياسات لهذه الآثار بالقدم ووصف الآثار التي توجد في وسط جزيرة أرقو وهي آثار لمعبد واسع، وأشار للخندق وذكر أنها لا تحتوي سوي علي آثار بضع أعمدة من الجرانيت منحوتة بالهيرولوجية. الجدير بالذكر أن هناك بعثة آثارية تعمل في السنوات الأخيرة بمشروع قطري مع جامعة الخرطوم عن آثار منطقة الخندق ويبدو أنها لم تكمل المشروع بعد. وفي مروي القديمة شاهد بقاياها في قوز برة، وذكر أن الآثار فيها مرئية وليست منعزلة، هناك تمثال مشوه لإبي الهول جالس نُحت من الجرانيت الأسود ووصفه روبيل بأنه جميل، وأسد مشوه أيضاً وتمثال من الجرانيت لكاهن تم جلبه من دنقلا وذكر أن الشكل الغريب لكنتلة جبل البركل الصخرية كانت تجذب إهتمام الباحثين دائماً. يتساءل الرحالة إدوارد روبيل عن ما إذا كان الاسم الحالي لمكان البركل من نفس كلمة (أوراكل اليونانية بمعنى الوحي) لأنه ذكر أن الاعتقاد في العصور القديمة أن الآلهة تقترب من الناس في هذا الموقع وتحدث معهم. تتراكم المعابد من معبد إلي معبد ويقطع الناس مسافات ليأتوا للحج هنا. يورد الرحالة عدداً من المعابد قرب جبل البركل.

لقد كان الرحالة روبيل دقيقاً في وصفه للأماكن ودقيقاً في قياساته للأعمدة والتماثيل مما يوحى باهتمامه وشغفه بالآثار وجعل من كتاباته وملاحظاته مقصداً للآخرين للبحث والتنقيب ومشاهدة تلك المناطق الأثرية.

ماذا كتب الرحالة والمؤرخون عن السودان:

لا شك أن ما كتبه الرحالة والمكتشفين والمؤرخين عرباً كانوا أم أوروبيين عن السودان كان سياحة لهم فيها متعة التنقل والبحث عن مناطق غريبة عنهم وجدوا المتعة في إرتيادها وبالتالي

تركوا آثارهم مكتوبة لتكون أحد متركزات المعرفة استدلو بها الذين جاءوا من بعدهم واقتفوا آثارهم وأضافوا الكثير من المعلومات.

لم يكن الرحالة مختصين في علم التاريخ أو مدققين في المعلومات ، فقد استند بعضهم علي روايات وسجلوا ما سمعوه من ملاحظات وقد تميزوا بالوصف للمناطق التي زاروها وشاطرهم في ذلك المؤرخون. لقد حُظيت مناطق شمال السودان بملاحظات الرحالة الذين زاروا تلك المناطق فقد وصفوا الملامح الإقتصادية والمعيشة في بلاد النوبة، تحدثوا عن التجارة مع مصر وحددوا مناطق التعدين ووصفوا طبيعة المنطقة وجمال بعض مواقعها والمدن مثل عيذاب في إقليم البجا ودنقلا في النوبة الشمالية، وسوبا في النوبة الجنوبية وسواكن .

كتب الرحالة والمؤرخون عن الطرق والقوافل وأهميتها التجارية و الهجرات وطرق الحج والمنتجات والزراعة والأرض وخصوبتها والمحاصيل والمنتجات الزراعية وكتبوا كذلك عن تنوع شعوب السودان وأرض النوبة والشعوب التي دخلت أرض السودان مهاجرة كما سجلوا ملاحظاتهم عن المعمار والمباني والآثار والصناعة اليدوية والأزياء وأدوات الزينة والغناء والموسيقى.

مؤلفات الرحالة وأهميتها:

إن المعلومات التي أوردها والمكتشفون والمؤرخون في يومياتهم ورسائلهم كانت موضع دراسات الباحثين . وأشار بروفيسور ب. علي عثمان محمد صالح(20) في بحثه بعنوان رحلة إلباء شلبي لمنطقة المحس. أنه أورد معلومات أفادت في الكشف الأثري وذكر من القلاع قلعة كاندي، وقلعة نوري ، وقلعة سوندي وقلعة تومتوسو وقلعة حفير مشو وقلعة طمبل . وذكر أن كل المواقع التي ذكرت في يوميات إلباء شلبي إكتشفت وتمت دراسة أثرية عليها بعد تسجيلها لدي الهيئة القومية للآثار والمتاحف. وبناء علي كثير من الكشوف الأثرية توجهت أنظار المنقبين والباحثين والسياح إلي أرض السودان للوقوف علي آثاره فكثرت البعثات الأثرية ولا زالت تتوافد علي السودان حتي اليوم.

لقد ترك الرحالة والمؤرخون مؤلفات أسهمت في التعريف ببلاد السودان وأظهرت أهمية ما دونوه خاصة الذين كتبوا بدقة لتوثيق معلوماتهم خاصة الرحالة روبيل الذي كان يصف التماثيل بدقة.

إن كتب الرحالة التي ترجمت أفادت الباحثين وسهلت عليهم الإطلاع علي المعلومات الواردة في تلك المؤلفات. تزينت بعض تلك الكتب برسومات دقيقة وخرط مفيدة لتقريب الصورة للقاريء مثل الرسومات التي ضمنها بوركهارت رحلته ولأنه كان قد درس اللغة العربية كتب بعض الكلمات بالعربية حسب نطق أهل المنطقة . وأورد روبيل رسومات لتماثيل في جزيرة أرقو ومعبد

وأسد البركل وقلعة الفقيه والمعبد الكبير في البركل بجانب المعالم الأثرية للمدافن الهرمية في مروي كما أورد خريطة لكردفان من رسمه وحقيقة فإن رسوما روبيل غاية في الدقة والجمال.

الملاحظ لمدين السودان الساحلية يجد تنوع في أصول السكان ووجود الجاليات الأجنبية كاليهود واليونان والهنود والأفارقة كما يجد تداخل الشعوب الأفريقية والتي جاء بها طريق الحج الأفريقي ، وعبر البعض إلى أرض الحجاز بينما استقر عدد آخر وتزاوج واختلط بقبائل السودان المختلفة.

لا شك أن تلك الكتابات والمدونات قد وضعت الأسس لأعمال المسح الآثاري بملحقاته من تنقيب وترميم ، كما ساعدت علي الكشف عن الحضارة السودانية منذ فترات ما قبل التاريخ.

النتائج :

لقد توصلت هذه الورقة للنتائج الآتية:-

- كان السودان قبلة لعدد من المكتشفين والمؤرخين والجغرافيين.
- اختلفت أغراض الرحالة والمكتشفين والمؤرخين كل حسب توجهه.
- أثبت المؤرخون أن عيذاب (حلايب) سودانية.
- السودان غني بالمناطق السياحية المتنوعة.
- كشفت الرحلات عن موارد السودان وثروته الآثارية .
- ساعدت الرحلات في كشف وتسجيل تلك الآثار لدي الهيئة القومية للآثار والمتاحف.
- الرحلات خلفت إنتاج فكري غني ومهم ويمكن استغلاله في الترويج السياحي

التوصيات:

واخيراً توصي الورقة بالآتي:-

- الإهتمام بالسياحة الأثرية وتنشيطها.
- ترجمة كتب الرحالة المكتوبة بلغات أجنبية للغة العربية.

الإشارات المرجعية:

- (1) علي صالح كرار: السودان من خلال كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل.
- (2) إنتصار الزين صغيرون: نهر النيل في كتاب الرحالة العرب والمسلمين.
- (3) علي صالح كرار.
- (4) أحمد عوض خضر : أضياء علي رحلة ابن سليم الأسواني إلي بلاد النوبة وعلوة.
- (5) إنتصار الزين صغيرون.
- (6) إدوارد روبيل: رحلات في شمال السودان وكردفان وشبه جزيرة سيناء وساحل البحر الأحمر، المصورات ، 2019م، ص 72.
- (7) المصدر نفسه، ص 59.
- (8) قيصر موسي: المدن السودانية في كتابات الرحالة المسلمين والعرب .
- (9) المصدر نفسه:
- (10) المصدر نفسه.
- (11) حسن حسين: أهم مدن وطرق القوافل في السودان . وأيضاً عبدة عثمان: الزخارف المعمارية في مباني سواكن القديمة، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الخرطوم، 2003م.
- (12) قيصر موسي، وأيضاً إدوارد روبيل ، ص 49.
- (31) قيصر موسي.
- (41) المصدر نفسه.
- (15) المصدر نفسه.
- (16) المصدر نفسه.
- (17) إخلاص مكاوي محمد علي: هجرة قبائل غرب أفريقيا للسودان والسعودية وآثارها ، رسالة دكتوراة، غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 2011م.
- (18) إدوارد روبيل: ص 75-84.
- (19) المصدر نفسه، ص 76.
- (20) علي عثمان محمد صالح: دور الرحالة العرب والمسلمين في الكشف عن الآثار في السودان رحلة إلياء شلبي.